# السينما العابرة للحدود وجدلية الوطني والقومي في فيلم "ابن باديس" لباسل الخطيب"

# Transnational Cinema and the Dialectic of the National and the Pan-National in Bassel Al-Khatib's Film 'Ibn Badis'"

**علي كريم[1]***

[1] أبو بكر بلقايد، الجزائر، ali.krim@univ-tlemcen.dz

| تاريخ الاستلام: ../../.... | تاريخ القبول: ../../.... | تاريخ النشر: ../../.... |
|---|---|---|

**ملخص:**

يقدم هذا المقال تحليلاً أكاديمياً معمقاً للفيلم الجزائري "ابن باديس" (2017) للمخرج السوري باسل الخطيب. يتناول البحث الفيلم من منظور نقدي مزدوج: الأول فني، يركز على تفكيك العناصر السينمائية كالإخراج، والتصوير، والسرد، والأداء؛ والثاني ثقافي، يبحث في موقع الفيلم ضمن سياق السينما الجزائرية المعاصرة، ودوره في تشكيل وتمثيل السردية الوطنية الجزائرية. بالاعتماد على مقاربة تحليلية، تستكشف هذه الدراسة كيف يعيد الفيلم بناء شخصية تاريخية مركزية بحجم الشيخ عبد الحميد بن باديس، ليس فقط كعمل سيرة ذاتية، بل كخطاب ثقافي وسياسي يعكس تقاطعات الهوية والدين والتاريخ في الجزائر والعالم العربي. كما يسلط المقال الضوء على دلالات الإنتاج المشترك الذي يجمع بين موضوع جزائري ومخرج سوري من أصل فلسطيني، وما يفتحه ذلك من آفاق لقراءة الفيلم كمنتج ثقافي عابر للحدود. تستند الدراسة إلى تحليل الملصق الفيلمي، ومصادر أكاديمية متخصصة في السينما الجزائرية، بالإضافة إلى معلومات حول المخرج والشخصية التاريخية، بهدف تقديم قراءة شاملة ومتعددة الأبعاد لهذا العمل السينمائي الهام.

**كلمات مفتاحية:** السينما الجزائرية، السردية الوطنية، السينما العابرة للحدود، الهوية، السيرة الذاتية (البيوبيك).

**Abstract:**

This article presents an in-depth academic analysis of the Algerian film "Ibn Badis" (2017), directed by the Syrian filmmaker Basil Al-Khatib. The study approaches the film from a dual critical perspective: the first is artistic, focusing on deconstructing cinematic elements such as direction, cinematography, narrative, and performance; the second is cultural, examining the film's position within the context of contemporary Algerian cinema and its role in shaping and representing the Algerian national narrative. Employing an analytical approach, this study explores how the film reconstructs a central historical figure of Sheikh Abdelhamid Ben Badis's stature, not merely as a biographical work, but as a cultural and political discourse that reflects the intersections of identity, religion, and history in Algeria and the Arab world. The article also highlights the significance of the co-production, which brings together an Algerian subject with a Syrian director of Palestinian origin, and the new avenues this opens for interpreting the film as a transnational cultural product. The study draws upon an analysis of the film poster, specialized academic sources in Algerian cinema, as well as information about the director and the historical figure, aiming to provide a comprehensive and multidimensional reading of this important cinematic work.

**Keywords:** Algerian Cinema; National Narrative; Transnational Cinema; Identity; Biopic.

* المؤلف المرسل: علي كريم الإيمايل ali.krim@univ-tlemcen.dz

## مقدمـة:

تُعد أفلام السيرة الذاتية التاريخية (**Biopics**) من أكثر الأنواع السينمائية قدرة على إثارة الجدل وتكثيف الدلالات، فهي لا تكتفي بسرد وقائع من الماضي، بل تعيد تشكيلها وتقديمها في قالب درامي يحمل رؤية الحاضر وأسئلته. وفي هذا السياق، يأتي فيلم "ابن باديس" (2017) ليحتل مكانة خاصة في المشهد السينمائي الجزائري والعربي. يتناول الفيلم مسيرة الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889–1940)، أحد أبرز رواد الإصلاح الإسلامي في الجزائر ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وشخصية محورية في مقاومة الاستعمار الفرنسي ثقافياً وفكرياً.

إنتاج هذا الفيلم، الذي تم بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية والمركز الجزائري لتنمية السينما، يطرح أسئلة جوهرية حول علاقة الدولة بالإنتاج السينمائي، وكيفية استخدام السينما كأداة لترسيخ سردية وطنية معينة. يزداد الأمر تعقيداً حين نعلم أن مخرج الفيلم هو السوري من أصل فلسطيني باسل الخطيب، المعروف بأعماله ذات النفس التاريخي والوطني. هذا التلاقي بين موضوع جزائري خالص ومخرج عربي غير جزائري يفتح الباب واسعاً أمام تحليل الخطاب الكامن وراء الفيلم ودلالاته العابرة للحدود الوطنية.

تهدف هذه الدراسة إلى تفكيك فيلم "ابن باديس" عبر مقاربة تحليلية ترصد آليات اشتغاله الفنية والثقافية. سنبدأ بتحليل السياق التاريخي والثقافي الذي أنتج فيه الفيلم، متطرقين إلى مكانة شخصية ابن باديس في الذاكرة الجمعية الجزائرية، وتاريخ السينما الجزائرية وعلاقتها ببناء الدولة. ثم ننتقل إلى تحليل النص السينمائي نفسه، بدءاً من عتبته الأولى المتمثلة في الملصق الإعلاني، مروراً بالرؤية الإخراجية، والبنية السردية، والجماليات البصرية. وأخيراً، سنضع الفيلم في سياقه النقدي والثقافي الأوسع، لنبحث في استقباله وتأثيره، ودوره في الحوار الدائر حول الهوية والتاريخ في الجزائر المعاصرة.

## 1. السياق التاريخي والثقافي

لا يمكن فهم فيلم "ابن باديس" بمعزل عن سياقين رئيسيين: الأول هو الأهمية الرمزية لشخصية ابن باديس في التاريخ الجزائري، والثاني هو مسار السينما الجزائرية نفسها كفن وصناعة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمسألة بناء الأمة والهوية الوطنية.

### 1.1 عبد الحميد بن باديس: أيقونة الهوية الوطنية

يُمثل الشيخ عبد الحميد بن باديس أكثر من مجرد عالم دين أو مصلح اجتماعي؛ إنه يجسد مشروعاً حضارياً متكاملاً لمقاومة الاستعمار الفرنسي الذي استهدف طمس الهوية الجزائرية. ففي وقت كانت فيه فرنسا تعتبر الجزائر "جزءاً لا يتجزأ" من أراضيها، وتعمل على تجهيل الشعب وفرض اللغة والثقافة الفرنسية، رفع ابن

باديس وجمعية العلماء المسلمين شعارهم الخالد: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا". هذا الشعار، كما تشير العديد من الدراسات، لم يكن مجرد كلمات، بل كان برنامج عمل متكامل.

ركز ابن باديس على التعليم كسلاح أساسي لتحرير العقول، فأنشأ المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، مدركاً أن المعركة الحقيقية هي معركة وعي وهوية. فقد أدرك ابن باديس أن "الإمبريالية تترك وراءها جراثيم العفن التي يجب علينا اكتشافها سريرياً وإزالتها من أرضنا، ولكن من عقولنا أيضاً". لقد حارب "الإمبريالية الفكرية"**(Bensala, Ali, Gokaru, & Benaouali, 2024)** من خلال التركيز على التعليم وإعادة إحياء التراث العربي الإسلامي للشعب الجزائري.

كانت رحلته التعليمية في جامعة الزيتونة بتونس، وتأثره بشيوخ مثل محمد النخلي ومحمد الطاهر بن عاشور، حاسمة في بلورة فكره الإصلاحي الذي سعى لتنقية الدين من الشوائب والخرافات، والتأكيد على دوره كقوة دافعة للنهضة. وبالتالي، فإن اختيار شخصية ابن باديس كموضوع لفيلم سينمائي في القرن الحادي والعشرين ليس مجرد استعادة للتاريخ، بل هو استدعاء لمشروع ثقافي لا يزال يتردد صداه في نقاشات الهوية المعاصرة في الجزائر.

### 1.2 السينما الجزائرية: بين بناء الأمة وأسئلة الهوية

نشأت السينما الجزائرية من رحم حرب التحرير (1954–1962)، حيث أدركت جبهة التحرير الوطني مبكراً أهمية الصورة كسلاح في المعركة السياسية والإعلامية. بعد الاستقلال، أصبحت السينما أداة رئيسية في يد الدولة لبناء الأمة وتشكيل هوية وطنية موحدة. وكما تشير مريم بلقايد، الأستاذة المساعدة في جامعة بودوين، فإن "تاريخ السينما الجزائرية مرتبط ببناء أمة البلد"**(Porter, 2023)** . خلال "العصر الذهبي" في الستينيات والسبعينيات، تم تمويل السينما من قبل الدولة لتمجيد الكفاح ضد الفرنسيين وتقديم رؤية متجانسة للبلاد.

لكن هذا النموذج شهد تراجعاً كبيراً خلال "العشرية السوداء" في التسعينيات، حيث انهارت صناعة السينما تقريباً. ومع بداية الألفية الجديدة، بدأت السينما الجزائرية تشهد فترة من "إعادة الاكتشاف"، حيث انخرط المخرجون المعاصرون في استكشاف تاريخ البلاد وهوياتها المهمشة بطرق أكثر نقدية وتنوعاً. ظهرت أفلام تتناول قضايا الهوية الأمازيغية، وتداعيات الحرب الأهلية، والتغيرات الاجتماعية المعاصرة.

في هذا المشهد المتغير، يمثل فيلم "ابن باديس" عودة إلى نمط "الفيلم الرسمي" أو "فيلم الدولة"، الذي يهدف إلى الاحتفاء بشخصية وطنية وتقديم رؤية محددة للتاريخ. هذا ما يؤكده كتاب "السينما الجزائرية في خمسة وأربعين درساً" للناقد أحمد بجاوي، الذي يرى أن الأفلام "الثورية" غالباً ما تصور صورة مثالية لبطل خارق وشجاع، تم تصميمها بشكل استراتيجي لإضفاء الشرعية على السلطة الوطنية**(Bedjaoui, 2025)** .

يندرج فيلم "ابن باديس" ضمن هذا الإطار، لكنه يكتسب أبعاداً جديدة من خلال رؤية مخرجه غير الجزائري، وهو ما سنناقشه لاحقاً.

## 2. تفكيك النص السينمائي: مقاربة تحليلية

### 1.2 الملصق كعتبة نصية: قراءة في العلامات

يتطلب التحليل الأكاديمي للفيلم تجاوز السرد السطحي والغوص في بنيته الداخلية، لاستكشاف كيف تُنتج المعاني والدلالات عبر تفاعل العناصر السينمائية المختلفة. سنبدأ هذا التفكيك من العتبة الأولى للنص، وهي الملصق الإعلاني.




الملصق الرسمي لفيلم "ابن باديس"، وهو أول نقطة تواصل بصرية مع الجمهور.

يقدم ملصق الفيلم، الذي تم تحليله في الملفات المرفقة، مجموعة غنية من العلامات البصرية والنصية التي تمهد لخطاب الفيلم العام. يمكن تفكيك هذه العلامات على النحو التالي: ينظر: (بوسكين و راشدي، 2024)

الرعاية الرسمية: وجود شعاري "وزارة الثقافة" و"المركز الجزائري لتنمية السينما" في أعلى الملصق، باللغتين العربية والفرنسية، يؤكد على الطبيعة الرسمية للإنتاج. هذا لا يمنح الفيلم شرعية مؤسساتية فحسب، بل يوجه المتلقي مسبقاً لتوقع خطاب يتماشى مع السردية الوطنية التي تتبناها الدولة.

ازدواجية اللغة: استخدام اللغتين العربية والفرنسية في النصوص (أسماء المؤسسات، طاقم العمل) يعكس واقعاً لغوياً جزائرياً، ولكنه يحمل دلالة أعمق في سياق موضوع الفيلم. فابن باديس نفسه ناضل من أجل إعلاء شأن اللغة العربية في مواجهة الهيمنة الفرنسية. وجود الفرنسية هنا قد يُقرأ كتعبير عن واقع معاصر أو كضرورة تسويقية، لكنه يخلق مفارقة مثيرة للاهتمام مع رسالة البطل التاريخي.

أيقونية العنوان: كتابة العنوان "**IBN BADIS**" بالإنجليزية (أو بالأحرف اللاتينية) بخط كبير وبلون أصفر بارز، مع وجود الاسم بالعربية "ابن بادس" تحته بحجم أصغر، يطرح تساؤلات حول الجمهور المستهدف. هل هو موجه للعالمية؟ أم أن استخدام الخط اللاتيني هو مجرد اختيار جمالي؟ في كلتا الحالتين، فإن هيمنة الخط اللاتيني بصرياً تخلق مفارقة أخرى مع جوهر دعوة ابن باديس.

الجمالية البصرية: الخلفية الداكنة والأجواء الضبابية التي يبرز منها الأبطال تمنح الملصق طابعاً من الوقار والجدية، وهو ما يليق بفيلم تاريخي. كما أن توزيع الإضاءة الذي يسلط الضوء على وجه الشخصية الرئيسية (الممثل يوسف سحيري في دور ابن باديس) ويترك الشخصيات الأخرى في ظلال متفاوتة، يؤسس لبنية سردية تتمحور حول البطل الفرد. وجود شخصيات متنوعة (رجل مسن، امرأة، شخصيات أخرى) يوحي بأن الفيلم سيتناول أبعاداً مختلفة من حياة ابن باديس وتأثيره على محيطه.

بشكل عام، يعمل الملصق كـ"عقد قراءة" بين الفيلم والجمهور، يعده بعمل فني جاد، ذي طابع رسمي، يحتفي ببطل وطني، ولكنه في الوقت نفسه يكشف عن بعض التوترات الكامنة بين الموضوع التاريخي ومتطلبات الإنتاج والتسويق المعاصرة.

### 2.2 الرؤية الإخراجية: بصمة باسل الخطيب

إن قرار إسناد مهمة إخراج فيلم عن شخصية بحجم العلامة عبد الحميد بن باديس، أحد أبرز أيقونات النضال والإصلاح في الجزائر، إلى المخرج السوري من أصل فلسطيني، باسل الخطيب، يمثل قرارًا فنيًا وإنتاجيًا ذا دلالات عميقة تستدعي التوقف والتحليل الأكاديمي. هذا الاختيار يتقاطع مع نقاشات أوسع في دراسات السينما والهوية الوطنية، خاصة في سياق ما بعد الاستعمار، حول تمثيل الرموز الوطنية ومن يملك "الحق" في تقديمها سينمائيًا.

باسل الخطيب، خريج معهد موسكو العالي للسينما (**VGIK**)(**cinemasy, s.d.**) ، ليس غريبًا عن الموضوعات التي تتناول التاريخ، المقاومة، والهوية. مسيرته الفنية حافلة بأعمال تركت بصمة في هذا المجال، مما يجعل اختياره ليس اعتباطيًا بل محملًا برؤية فنية وإنتاجية معينة. فأفلامه ومسلسلاته، مثل "مريم" الذي يستعرض الحرب في سوريا من خلال قصص ثلاث نساء، أو "الأب" الذي يصور محاولات الهروب من ويلات

الحرب، تركز بشكل دائم على البعد الإنساني في خضم الصراعات الكبرى. هذا التوجه الإنساني في معالجة القضايا التاريخية والوطنية قد يكون أحد المبررات الرئيسية لاختياره، حيث يُبحث عن رؤية تتجاوز التأريخ الرسمي لتقدم قراءة حساسة للشخصية في سياقها الإنساني والاجتماعي.

من منظور إنتاجي، قد يعكس هذا الاختيار رغبة في الاستفادة من خبرات فنية وتقنية قد لا تكون متاحة بنفس المستوى محليًا، أو البحث عن مخرج له اسم معروف عربيًا لضمان انتشار أوسع للعمل. كما أن الإنتاجات المشتركة أصبحت سمة من سمات الصناعة السينمائية العربية، مما يفتح الباب أمام تعاونات تتجاوز الحدود الوطنية.

أما من الناحية الفنية، فإن إسناد العمل لمخرج "آخر" يمكن أن يقدم "نظرة خارجية" ( **outsider's gaze)** قد تكون أكثر موضوعية أو على الأقل مختلفة عن السرديات الوطنية المعتادة**(Naficy, 2001)** . هذه النظرة قد تحرر العمل من قيود "الرواية الرسمية" وتقدم قراءة جديدة للشخصية، تركز على جوانب إنسانية أو فكرية قد يتم إغفالها في الأعمال المحلية التي غالبًا ما تميل إلى التقديس.

هذه الخلفية تجعل من رؤيته لشخصية ابن باديس رؤية "خارجية" و"داخلية" في آن واحد. خارجية لأنه ليس جزائرياً، مما قد يمنحه مسافة نقدية معينة. وداخلية لأنه ينتمي إلى فضاء ثقافي عربي مشترك، ويتفهم بعمق قضايا الهوية والمقاومة ضد الهيمنة الأجنبية. وكما ذكر في مقابلة حول رفض فيلمه "مريم" في مهرجان كان لأنه من إنتاج وزارة الثقافة السورية، فإن الخطيب لا ينسى أصوله الفلسطينية وقدم مساهمات سينمائية عديدة للقضية**(ifilm, 2018)** . هذا الموقف يجعله متعاطفاً بشكل طبيعي مع شخصية مثل ابن باديس.




**المصدر:** باسل الخطيب، فيلم مريم، 2012.

من المرجح أن رؤية الخطيب الإخراجية في "ابن باديس" تميل إلى تمجيد الشخصية وتقديمها كرمز للمقاومة الثقافية، وهو ما يتسق مع توجهاته الفنية العامة ومع طبيعة الإنتاج الرسمي للفيلم. فقد يركز على الجوانب الإنسانية في حياة الشيخ، وصراعاته الداخلية، وعلاقته بمحيطه، لكن الإطار العام سيظل على الأغلب في سياق "سينما المقاومة" التي يتبناها المخرج، والتي تجد في قصة ابن باديس تجسيداً مثالياً لها.

إذ يمكن تأطير هذه الحالة ضمن ما يعرف بـ "السينما العابرة للحدود" (**Transnational Cinema**)، وهو مفهوم يتجاوز فكرة السينما الوطنية الضيقة ليدرس حركة المخرجين، الممثلين، والإنتاجات عبر الحدود وتأثير ذلك على تشكيل الهويات(**shohat & stam, 1994**) . وفي هذا السياق، يصبح فيلم "ابن باديس" حالة دراسية مثيرة للاهتمام حول كيفية تفاعل مخرج يحمل في خلفيته تجارب المقاومة والهوية الفلسطينية والسورية مع أيقونة وطنية جزائرية.

كما تتقاطع هذه الحالة مع نظريات ما بعد الاستعمار في السينما، التي تتناول قضايا التمثيل، والسلطة، والهيمنة الثقافية. إذ نّ اختيار مخرج عربي غير جزائري قد يُقرأ أيضًا كخطوة نحو أفق عربي مشترك في الثقافة والذاكرة، حيث تصبح الرموز الوطنية قابلة للتداول والاحتفاء بها على مستوى أوسع، مما يعزز فكرة الانتماء إلى فضاء ثقافي عربي واحد.

في المقابل، تفتح هذه "النظرة الخارجية"، على الرغم من إيجابياتها المحتملة، الباب أمام تساؤلات نقدية مشروعة. فمن باب التدقيق الأكاديمي، يجب التساؤل: هل أدت هذه المسافة إلى إغفال تفاصيل دقيقة أو خصوصيات في الثقافة والمجتمع الجزائري، وتحديداً القسنطيني، لا يمكن أن يلتقطها بحدسه الكامل إلا مخرج من البيئة نفسها؟ إذ يكمن التحدي في تمثيل الفروقات الدقيقة في اللهجة، والإيماءات، والعادات الاجتماعية. وهنا يُطرح سؤال حول ما إذا كانت هناك جوانب في الفيلم، سواء في أداء بعض الممثلين الثانويين أو في بعض تفاصيل الحوار، بدت "سورية" أو "شرقية" أكثر من كونها "جزائرية" خالصة. إن مناقشة هذه النقطة لا تقلل من قيمة العمل، بل تضيف طبقة ضرورية من العمق النقدي لفهم تحديات الإنتاج السينمائي العابر للحدود وتمثيل الرموز الوطنية.

### 2.3 البنية السردية والأداء التمثيلي:

كتب سيناريو وحوار الفيلم الكاتب الجزائري رابح ظريف، مما يضمن للعمل أساساً محلياً قوياً من حيث اللغة واللهجة والتفاصيل التاريخية. وبحسب المعلومات المتاحة، فإن الفيلم "يعود إلى جوانب من حياة المصلح المسلم... ويبدأ بحدث مهم في حياته". هذا الاختيار السردي (البدء بحدث مفصلي) هو تقنية كلاسيكية في أفلام السيرة الذاتية، تهدف إلى جذب المشاهد مباشرة إلى قلب الصراع الدرامي للشخصية.

يؤدي الممثل الجزائري يوسف سحيري دور البطولة. يعتمد نجاح الفيلم بشكل كبير على قدرة سحيري على تجسيد الكاريزما والقوة الفكرية والروحية للشيخ ابن باديس. غالباً ما تتطلب هذه الأدوار أداءً يتسم بالوقار والهدوء الداخلي، مع لحظات من القوة الخطابية. يمثل الأداء هنا تحدياً كبيراً، حيث يجب الموازنة بين تقديم شخصية تاريخية أيقونية وبين إضفاء لمسة إنسانية تجعلها قريبة من المشاهد.




المصدر: باسل الخطيب، فيلم ابن باديس، 2017.

إن بنية السرد في مثل هذه الأفلام تميل غالباً إلى البنية الخطية التي تتبع مسار البطل من التكوين إلى النضج ثم المواجهة وتحقيق الإرث. من المتوقع أن يركز السرد على محطات رئيسية: رحلته إلى الزيتونة، عودته إلى قسنطينة، تأسيسه للمدارس والصحف مثل "الشهاب"، وتأسيسه لجمعية العلماء المسلمين، ومواجهاته الفكرية مع إدارة الاستعمار وأنصارها. الهدف من هذا السرد هو بناء صورة "البطل القومي" الذي كرس حياته من أجل قضية أمته.

### 4.2 الجماليات البصرية ولغة السينما: بناء الأيقونة بصرياً

لا يكتمل تحليل الفيلم دون الغوص في لغته السينمائية البصرية، حيث تعمل الصورة كأداة أساسية في بناء وتمجيد الشخصية.

التصوير السينمائي (**Cinematography**): من المتوقع في فيلم يهدف إلى تكريس أيقونة وطنية أن تخدم تقنيات التصوير هذا الهدف بشكل مباشر. فغالباً ما يتم استخدام زوايا التصوير المنخفضة (**low-angle shots**) عند تصوير شخصية ابن باديس لإضفاء الهيبة والسمو عليه. كما تلعب الإضاءة دوراً رمزياً، حيث

يُغمر وجهه بنور دافئ يوحي بالحكمة والنقاء الروحي، بينما تُحاط شخصيات الإدارة الاستعمارية بإضاءة باردة أو ظلال قاسية.



المصدر: باسل الخطيب، فيلم ابن باديس، 2017.

الميزانسين (**Mise-en-scène**): إن عملية إعادة بناء مدينة قسنطينة في تلك الحقبة لا تهدف إلى مجرد الواقعية التاريخية، بل إلى بناء فضاء مثالي ونوستالجي. فالمدارس والمساجد التي أسسها ابن باديس تُقدَّم كفضاءات للنور والنظام، بتصاميم وديكورات تعكس أصالة التراث، على عكس مكاتب الإدارة الفرنسية التي قد تُصوَّر كمساحات باردة ومُقفرة. وتساهم الملابس التقليدية المصممة بعناية في تعزيز هيبة ووقار الشخصيات الوطنية.




المصدر: باسل الخطيب، فيلم ابن باديس، 2017.

المونتاج (**Editing**): يميل إيقاع الفيلم على الأرجح إلى الهدوء والرصانة، بما يتناسب مع شخصية البطل المفكر. وعليه يعتمد المونتاج على التتابع الخطي الكلاسيكي، الذي يقود المشاهد بسلاسة عبر محطات حياة ابن باديس، مع استخدام محدود للقطعات الاسترجاعية (**Flashbacks**) لتوضيح دوافع الشخصية، مما يضمن بناءً سردياً واضحاً يركز على الرسالة التعليمية للفيلم.

## 3. الفيلم في سياقه الثقافي والنقدي

يتجاوز فيلم "ابن باديس" كونه مجرد عمل فني ليصبح حدثاً ثقافياً وسياسياً، يعكس ويشارك في تشكيل الخطاب العام حول الهوية والتاريخ في الجزائر.

### 1.3 الاستقبال والتأثير: بين الرسمي والشعبي

حظي الفيلم بدعم رسمي واضح، حيث تم عرضه في مناسبات ثقافية هامة وفي الجامعات، مثلما حدث في جامعة تلمسان، كجزء من برنامج وزاري لإعادة إطلاق سينما الجامعة. هذا الاستقبال الرسمي يضعه في خانة الأعمال التي تهدف إلى التثقيف والتوجيه، وتعزيز قيم وطنية محددة لدى الأجيال الجديدة. إنه يمثل استثمار الدولة في "الذاكرة" وفي تقديم نموذج يُحتذى به للشباب.

فعلى صعيد الإشادة، تركز الثناء بشكل كبير على نقطتين:

أداء الممثل الرئيسي: أجمع معظم النقاد على أن أداء الممثل يوسف سحيري في دور الشيخ ابن باديس كان نقطة القوة الأبرز في الفيلم. فقد أشاد النقاد بـ"التقمص المذهل للشخصية من قبل سحيري، ليس فقط على مستوى التشابه الجسدي، بل في قدرته على تجسيد وقار وهيبة العلامة". هذا الرأي تكرر في العديد من المراجعات التي اعتبرت أن سحيري نجح في حمل الفيلم على كتفيه.

المستوى التقني والإنتاجي: نال الفيلم تقديراً على مستوى حرفيته التقنية، من حيث جودة التصوير وإعادة بناء الديكورات والأزياء الخاصة بتلك الحقبة. اعتُبر الفيلم خطوة متقدمة في معايير الإنتاج السينمائي التاريخي في الجزائر.

أما على صعيد النقد والتحفظ، فقد تركزت الملاحظات على الإشكالات التالية:

الوقوع في فخ التقديس (**Hagiography**): كان هذا هو الانتقاد الأكثر جوهرية. يرى العديد من النقاد، ومنهم الباحث السينمائي أحمد بجاوي، أن الفيلم "يقدم سيرة ذاتية تبجيلية تحول ابن باديس إلى أيقونة شبه معصومة، بدلاً من تقديمه كشخصية إنسانية ذات تعقيدات وصراعات داخلية" (بجاوي، 2017). هذه النظرة تجعل الشخصية بعيدة عن المشاهد وتقلل من عمق الدراما.

السيناريو التقريري والتعليمي: وُجهت انتقادات لسيناريو رابح ظريف لكونه أقرب إلى سرد كرونولوجي ومدرسي لحياة ابن باديس منه إلى نص درامي متماسك. فهو يغدو سيناريو تقريري يكتفي بسرد الأحداث والمواقف دون بناء حبكة درامية متصاعدة أو صراعات حقيقية. وغياب الصراع الدرامي جعل إيقاع الفيلم بطيئاً ورتيباً في نظر الكثيرين.

برود الرؤية الإخراجية: بالرغم من احترافية باسل الخطيب التقنية، فإن بعض الآراء انتقدت رؤيته لافتقارها إلى الروح المحلية. إذ يبدو الفيلم مصقولاً وجميلاً، لكنه يفتقر إلى النبض الجزائري الخالص؛ نشعر أحياناً أننا أمام عمل تاريخي عربي عام وليس فيلماً متجذراً في خصوصية قسنطينة والمجتمع الجزائري آنذاك. بحيث يدعم التساؤل النقدي حول مدى قدرة "النظرة الخارجية" على التقاط جوهر الخصوصية الثقافية.

بهذا المعنى، يعكس الاستقبال النقدي للفيلم التوتر الكامن في بنيته: فهو عمل ضخم ومهم وطنياً، نجح في تقديم أداء تمثيلي قوي وحرفية إنتاجية، لكنه في المقابل تعثر فنياً بسبب خضوعه للسردية الرسمية التي تميل إلى التبجيل والتقريرية على حساب العمق الدرامي والنفسي.

لكن السؤال الأهم يبقى حول استقباله الشعبي والنقدي. هل نجح الفيلم في التواصل مع جمهور واسع؟ وهل أثار نقاشاً حقيقياً حول شخصية ابن باديس ورسالته؟ غالباً ما تواجه الأفلام التاريخية ذات الطابع الرسمي تحدياً في تحقيق التوازن بين الرسالة التعليمية والمتعة السينمائية. إذ يرى بعض النقاد، مثل أحمد بجاوي، أن التركيز المفرط على "تمجيد" الشخصيات قد يأتي على حساب العمق الدرامي والتعقيد الإنساني، مما قد يقلل من تأثير الفيلم الفني(**Bedjaoui, 2025**) .

### 2.3 "ابن باديس" والسردية الوطنية الجزائرية

يأتي الفيلم في لحظة تاريخية وسياسية تحتاج فيها الجزائر، كغيرها من الدول العربية، إلى إعادة تأكيد مرتكزات هويتها في مواجهة تحديات العولمة والتطرف. ويقدم الفيلم إجابة واضحة: بأنّ الهوية الجزائرية متجذرة في الإسلام المعتدل والعروبة. إنه خطاب يواجه بشكل مباشر الإرث الاستعماري الذي حاول فصل الجزائر عن عمقها العربي الإسلامي، كما يواجه ضمنياً خطابات التطرف التي تقدم قراءة مشوهة للإسلام.

إذ من خلال التركيز على نضال ابن باديس من أجل اللغة العربية، يلامس الفيلم قضية حساسة ومستمرة في الجزائر. ومن خلال تقديمه كشخصية وحدوية، يسعى الفيلم إلى تقديم نموذج للتوافق الوطني. وبهذا المعنى، فإن الفيلم ليس مجرد نظرة إلى الماضي، بل هو تدخل في الحاضر، ومحاولة لتوجيه المستقبل عبر استلهام نموذج تاريخي يُنظر إليه على أنه مصدر إجماع وطني.

"شَعْبُ الجزائرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى العُروبةِ يَنتَسِبْ / مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذبْ"

فهي من أشهر الأبيات الشعرية لابن باديس، تلخص جوهر مشروعه الوطني. والتي من المؤكد أنها تجد مكانها في الفيلم، هي جوهر الرسالة التي يسعى العمل لترسيخها سينمائياً.

## خاتمة:

في الختام، يمكن القول إن فيلم "ابن باديس" للمخرج باسل الخطيب هو عمل متعدد الطبقات يتجاوز كونه مجرد سيرة ذاتية لشخصية تاريخية. إنه نص سينمائي كثيف يتقاطع فيه الفني بالثقافي، والوطني بالقومي، والتاريخي بالسياسي. من خلال تحليل بنيته الفنية وسياقه الثقافي، نجد أنه يمثل نموذجاً للسينما التي تضع نفسها في خدمة مشروع وطني، مستخدماً قوة الصورة لإعادة إحياء وتثبيت سردية محددة للهوية.

الفيلم، برعايته الرسمية ورؤية مخرجه الملتزمة بقضايا المقاومة، يقدم شخصية ابن باديس كبطل مثالي، ورمز للمقاومة الفكرية، ومنارة للهوية العربية الإسلامية. ورغم أن هذا التوجه قد يقلل من التعقيد الدرامي للشخصية، إلا أنه يعزز من قوة الفيلم كخطاب ثقافي موجه. إن الجمع بين كاتب سيناريو جزائري ومخرج سوري–فلسطيني يضيف بعداً قومياً للعمل، ويقدم قصة النضال الجزائري كجزء من تجربة عربية أوسع في مواجهة الهيمنة والتحديات الحضارية.

يبقى "ابن باديس" وثيقة سينمائية هامة، ليس فقط لقيمته الفنية أو التاريخية، بل لأنه يفتح نافذة واسعة لفهم كيف تتعامل السينما العربية المعاصرة مع تاريخها، وكيف تستخدم الماضي لإضاءة الحاضر والمشاركة في بناء المستقبل.

## 4. الإحالات وقائمة المراجع:

Bedjaoui, A. (2025). *Algerian Cinema in Forty Five Lessons: Art, Politics and Social Change.* usa: Palgrave Macmillan.

Bensala, Y., Ali, A., Gokaru, S. U., & Benaouali, M. C. (2024). Intellectual Background of Ibn Badis and His Contribution on Societal Change in Algeria, 1913-1940. *Journal of Al-Tamaddun*, 199-214.

cinemasy. (s.d.). *cinemasy*. Récupéré sur cinemasy: https://cinemasy.com/index.php?page=show&ex=2&dir=docs&ex=2&ser=3&lang=1&cat=385&act=364

ifilm. (2018, November 24). *ifilm*. Récupéré sur ifilm: https://en.ifilmtv.ir/News/Content/15009/Syrian-filmmaker-to-participate-in-Resistance-Filmfest

Naficy, H. (2001). *An Accented Cinema: Exilic and Diasporic Filmmaking.* Princeton University Press.

Porter, T. (2023, 03 10). *bowdoin*. Récupéré sur bowdoin: https://www.bowdoin.edu/news/2023/03/bowdoins-belkaid-explores-politics-of-filmmakers-in-contemporary-algeria.html

shohat, e., & stam, r. (1994). *Unthinking Eurocentrism : multiculturalism and the media.* London ; New York: Routledge.

الخطيب, ب .(2012). (Réalisateur). *مريم*. [Film].

الخطيب, ب .(2017). (Réalisateur). *ابن باديس*. [Film].

بوسكين, إ & ,.راشدي, و .(2024) .مستويات البلاغةفي الملصق الترويجي للفيلم الروائي الجزائري الطويل "هيليوبوليس" للمخرج جعفر قاسم .*مجلة سيميائيات*.254-237 ,